مفهوم الإبستميولوجيا عند غاستون باشلار

أ.ربيعة سالم فرحات

جامعة مصراتة\ كلية الآداب ، قسم الفلسفة، ليبيا

الملخص

المُلخّص

يهدف هذا البحث (مفهوم الابستيمولوجيا عند غاستون باشلار) إلى تناول إحدى المشكلات الحيوية والتي تعد إحدى السِّمات الرئيسية في الفكر الفلسفي المعاصر، ألا وهي الابستيمولوجيا وذلك من خلال عرض الآراء الفلسفية للفيلسوف غاستون باشلار، الذي اهتم بدراسة حقل الابستيمولوجيا وضرورتها في العلم، فالفلسفات التقليدية في نظره قد استنفذت ذاتها بتجاهلها للثورات العلمية المعاصرة وتأثيرها في القيم المعرفية، لذلك دعا باشلار إلى ضرورة قيام إبستيمولوجيا بإمكانها مواكبة التطورات المتلاحقة في الفكر العلمي، فالتقدم في العلم يتم بالصراع بين الجديد والقديم، وإن أيَّ عوائق إبستيمولوجيا تستوجب على العقل الجاد العمل على إزالتها، وتطور المعرفة لا يتحقق إلا بالتطهير المتواصل لهذه العوائق، واحتوى البحث على مقدمة تتحدث عن الابستيمولوجيا الباشلارية وتوضح مراحل وسمات المعرفة العلمية لدى غاستون باشلار والأسس التي تقوم عليها، والعلاقة بين العلم والمعرفة، واحتوى أيضاً على خاتمة تضمنت أهم النتائج المستخلصة من البحث، حيث ركزت الابستيمولوجيا عند غاستون باشلار على دراسة الثورات العلمية المعاصرة خاصة في مجالات الهندسة والفيزياء والكيمياء، مع قيامها بارتدادات تاريخية للمقاربة بين حالة العلم الراهنة والسابقة، بُغية الوقوف على القيم المتحكمة في العلم في كل مرحلة من تاريخه، ومن أبرز النتائج التي استخلصت من هذا البحث:

1. عرَّف باشلار المعرفة العلمية بالمعرفة التقريبية التي يتكامل فيها العقل والتجربة.
2. تأسيس مجال معرفي جديد تحت اسم الابستيمولوجيا اللاديكارتية ميزتها التعدد المنهجي.
3. الدعوة إلى تأسيس منطق لا أرسطي خاص بكل علم.
4. إضفاء الصبغة التاريخية على الابستيمولوجيا فهي إبستيمولوجيا تاريخية لاهتمامها الخاص بتاريخ العلوم.
5. دعوة إبستيمولوجيا للاهتمام بالجانب النفسي للمعرفة العلمية عن طريق توظيف منهج التحليل النفسي.

الكلمات المفتاحية: الابستيمولوجيا، نظرية المعرفة، غاستون باشلار، المعرفة العلمية.

استلمت الورقة بتاريخ 2024/06/7، وقبلت بتاريخ 2024/06/13، ونشرت بتاريخ 2024/07/07

الكلمات المفتاحية: الإبستميولوجيا، المشكلات الحيوية، غاستون باشلار، الكيمياء، الفيزياء.

1/ مقدمة

اهتم غاستون باشلار بحقل الابستيمولوجيا وضرورتها في العلم، فالفلسفات التقليدية في نظره قد استنفذت ذاتها لمَّا تجاهلت الثورات العلمية المعاصرة وتأثيرها في القيم المعرفية وفي الفكر نفسه، لذلك دعا باشلار إلى ضرورة قيام إبستيمولوجيا بإمكانه مواكبة التطورات المتلاحقة في الفكر العلمي، فالتقدم في العلم يتم بالصراع بين الجديد والقديم، وأن أي عوائق إبستيمولوجية تستوجب على العقل الجاد العمل على إزالتها، وتطور المعرفة لا يتحقق إلا بالتطهير المتواصل لهذه العوائق.

يرى باشلار أن الابستيمولوجيا لا تستطيع مسايرة العلم المعاصر إلا إذا عملت على إبراز القيم الابستيمولوجية المتجددة للعلم من النظرية العلمية وليس من الفلسفة، وأن تبحث عن أثر المعارف العلمية في بنية العقل القابلة للتشكل باستمرار، ولا يتأتى هذا إلا عن طريق القيام بتحليل نفسي للمعرفة الموضوعية.

واختيارنا لهذا الموضوع الذي هو بعنوان "مفهوم الابستيمولوجيا عند غاستون باشلار" نحاول من خلاله الاطلاع على فلسفة غاستون باشلار ورؤيته الابستيمولوجية لمراحل تطور المعرفة البشرية.

2. مشكلة البحث:

نتناول في هذا البحث إحدى المشكلات الحيوية والتي تُعد من السِّمات الرئيسية في الفكر الفلسفي المعاصر، ألا وهي الابستيمولوجيا وذلك من خلال عرض الآراء الفلسفية للفيلسوف غاستون باشلار، وذلك بهدف الإجابة على الإشكاليات التالية:

1. ماذا تعني الابستيمولوجيا عند باشلار؟
2. ما السمة التي تُميّز الابستيمولوجيا الباشلارية؟
3. ما أهم ملامح الابستيمولوجيا البشلارية؟
4. ما الأسس التي تقوم عليها الابستيمولوجيا الباشلارية؟

3. اهمية البحث:

تكمن اهمية هذا البحث في معرفة الابستمولوجيا عند باشلار وأهم السمات والملامح والأسس التي تقوم عليها ، ومعرفة مواصفات الخطاب الابستيمولوجي الباشلاري كخطاب علمي وفلسفي يتطلب الدراسة والتعمق.

4. هدف البحث:

الهدف من اختيارنا لهذا الموضوع "مفهوم الابستيمولوجيا عند غاستون باشلار" هو الاهتمام بالدراسات الابستيمولوجية الفلسفية، والميول الشخصي للفلسفة العلمية لدى باشلار وأهمية آرائه المعرفية على المستويين الفلسفي والعلمي.

5. منهجية البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي ، وتم من خلاله تحليل أراء غاستون باشلار الفلسفية حول الابستمولوجيا ونظرية المعرفة.

6. الدراسات السابقة:

اطلعت الباحثة على رسالة ماجستير منشورة بعنوان "بنية المعرفة العلمية عند غاستون باشلار" ، عثمان عي، جامعة منتوري، القسطنطينة – الجزائر، 2008؛ والتي ركزت على معرفة مواصفات الابستيمولوجيا الباشلارية والوقوف على الآليات المتحكمة في نشأة العلم وتطوره داخل اطارها النفسي، والدور الذي تلعبه المعرفة عند باشلار في بنية العلوم وبنية الفكر وتطوره، وأيضا اطلعت الباحثة على بحث منشور بعنوان "ابستمولوجيا المعرفة عند غاستون باشلار" ، رافد قاسم هاشم ، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية – مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، جامعة بابل – العراق، 2013؛ والتي ركزت على التطور التاريخي للابستيمولوجيا البلاشلارية ومعرفة عوائق الابستيمولوجيا انطلاقا من مفهوم القطيعة المعرفية، أما الباحثة فلم تتناول الموضوع بنفس المنهجية، وإنما منهجية مختلفة وأهداف ونتائج مختلفة حيث ركزت الباحثة اهمية على معرفة الابستيمولوجيا عند باشلار وأهم السمات والملامح والأسس التي تقوم عليها، ومعرفة مواصفات الخطاب الابستيمولوجي الباشلاري كخطاب علمي وفلسفي.

7. خطة البحث:

قُسِّم هذا العمل العلمي إلى ثلاث مباحث وكانت على النحو التالي:
المبحث الاول : مفهوم الابستيمولوجيا.
المبحث الثاني: المعرفة الحدسية.
المبحث الثالث: سمات نظرية المعرفة العلمية عند باشلار.

المبحث الاول: مفهوم الابستيمولوجيا:

ظهر مصطلح الابستيمولوجيا(*) بعد الفلسفة الكانطية في القرن التاسع عشر، وهي كلمة يونانية مركبة من لفظين: "ابستيمي" Episteme ومعناها علم Science، و"لوقوس" Logos وتعني منطق-علم- دراسة- نظرية- مقالة ... وعليه فكلمة "ابستيمولوجيا Epistemologie " من حيث الاشتقاق اللغوي تُشير إلى مقالة في العلم.(Larousse, 1979)
تعددت اصطلاحات الفلاسفة حول كلمة "ابستيمولوجيا" حيث يعرفها لا لاند بقوله: "هي فلسفة العلوم لكن بمعنى أكثر دقة، فلا تخص فقط دراسة المناهج العلمية، التي هي موضوع الميتودولوجيا والتي تعد جزء من المنطق، كما أنها ليست تركيباً أو توقعاً حدسياً للقوانين العلمية على الطريقة الوضعية أو التطورية، بل إنها في جوهرها الدراسة النقدية لمبادئ وفرضيات ونتائج مختلف العلوم الهادفة إلى تحديد أصلها المنطقي وقيمتها ومدى موضوعيتها.(Lalande, 1968)

(*) هي دراسة نقدية لمبادئ العلوم المختلفة وفروضها ونتائجها، وتهدف إلى تحديد أصلها المنطقي وقيمتها الموضوعية، وتطلق في اللغة الانجليزية على نظرية المعرفة بشكل عام، والابستيمولوجيا هي أحد فروع الفلسفة الذي يبحث في أصل المعرفة وتكوينها ومناهجها وصحتها. انظر: المذكور، إبراهيم. (1983)، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ص1.

الابستيمولوجيا عند باشلار(*):

عند الحديث عن التقليد الفرنسي بالنسبة لنظرية المعرفة التاريخية فإن الاسم الأول الذي تبادر إلى الأذهان هو غاستون باشلار، والذي مثل علامة مميزة لتلاميذ الفيلسوف الفرنسي لوي بيير ألتوسير منذ السبعينات، وكأنها لحظة من لحظات كسر الميراث الروحاني الذي جمعه برغسون، ثم غالباً عندما كان ينسى هذا النمط من التفكير المعرفي فيما يخص الأخبار العلمية، تم حينها اللجوء للتاريخ بدلاً من المنطق، وهذا كان له جذور عميقة في فرنسا من خلال المدرسة التقليدية، واستمرارية هذا التقليد تمت في صيغة نظرية المعرفة التاريخية من خلال تطبيقها في تاريخ العلوم، وفي مجال نظرية المعرفة التاريخية في الفيزياء والرياضيات.[Garcia, 2011]

ويقصد غاستون باشلار بالابستيمولوجيا نظرية المعرفة العلمية، تمييزاً لها عن نظرية المعرفة التقليدية، فالأولى من اختصاص العلماء ومن إنتاج الفلاسفة المنقطعين للنشاط العلمي، أما الثانية فهي من إنتاج الفيلسوف ذاته، وتقوم نظرية المعرفة العلمية على الوسائل العلمية الحديثة مثل القياس والإحصاء والتجارب والآلات العلمية المتطورة، ونجد أن نظرية المعرفة بمعناها التقليدي تعتمد على وسائل تقليدية على فكر ذاتي في حين تتصف نظرية المعرفة العلمية والابستيمولوجيا بالنزعة الموضوعية.(هاشم، 2013)

إن الابستيمولوجيا هي الدراسة التقليدية لمبادئ العلوم وفروضها ونتائجها بغرض تحديد أصلها المنطقي وبيان قيمتها وحصيلتها الموضوعية، وإذا كان الفرنسيون يميزون من بين نظرية المعرفة والابستيمولوجيا بمعناها الدقيق، فإن الألمان أيضاً يميزون بين نظرية المعرفة والابستيمولوجيا، وإن كانوا يقصدون بالابستيمولوجيا فلسفة العلوم كلها، ومهما كانت هذه الاختلافات التي تنشأ حول تحديد معنى الابستيمولوجيا، فإنها تعني في المقام الأول ببيان شروط المعرفة البشرية وقيمتها وحدودها وموضوعيتها من زاوية تطور العلم المعاصر، وأن تحديد معنى الابستيمولوجيا يرجع إلى ارتباطها بعدة أبحاث معرفية تدور حولها، فالابستيمولوجيا ترتبط بنظرية المعرفة من حيث أنها تدرس فلسفة العلوم والمنطق، فهي ترتبط بالمنطق من حيث أنها تدرس شروط المعرفة الصحيحة، شأنها في ذلك شأن المنطق ولكن إذا كان المنطق يهتم بصورة الفكر أو بصورة المعرفة فإن الابستيمولوجيا تهتم بصورة المعرفة ومادتها حقاً.(هاشم، 2013)

إن موضوع المعرفة العلمية هو "النومينا Noumenen"(*)، والنومين الفلسفي في حد ذاته شيءٌ غير قابل للمعرفة، أما النومين الباشلاري فهو نومين علمي الذي هو موضوع الفكر العلمي، وأن التنظيم العقلاني للفكر العلمي هو موضوع المعرفة، والظاهرة والمنجزة هي علامة هذه العقلانية.(عي، 2008)

كان للفيلسوف الفرنسي للعلوم غاستون باشلار ردود أفعاله على فكرة الظواهر في مختلف مراحل نموه الفلسفي، وكان له أعظم التأثير في فهمه للظواهر، حتي لو اعتبر الظواهر منهجاً قيّماً جداً، فإن باشلار اعتقد أن مصطلح نومينون- الشيء أو مفهوم الشيء في ذات نفسه في فلسفة كانط- ضروري، ليس للحصول على وصف كامل للواقع، ولكن لتحقيق المصادر المحتملة للواقع، ووفقاً له فالظواهر ليست سوى الأجسام الساكنة، أو الأشياء التي لوحظت في الطبيعة، لكن الكائنات الحيوية التي يمكن أن تنتج أو حتي تخلق العالم الحدسي يكمن وراء بنية العالم الظاهري.(Vydra, 2014)

وتشمل فلسفة باشلار عدة ميادين:

1. تهتم بتحليل خصائص المعرفة العلمية والتحولات التي مرت بها منذ القرن التاسع عشر.
2. تهتم بتحليل المخيلة الشعرية وإدراك معنى الصورة الشعرية في الحياة الإنسانية، وقد رفض باشلار فكرة النسق الفلسفي، فهو لم يعمل على تقديم صورة متناسقة لفلسفته، لأن فلسفته فلسفة بحث وليست فلسفة مبادئ.(عزوز، 1988)

ومن هذا المنطلق يرى باشلار أن المخيلة هي أساس التقدم العلمي، فهي ليست ملكة نفسية كملكة التذكر والذكاء بل هي أصل كل النشاطات الذهنية للإنسان، فالمخيلة ترتبط بالتفكير الإنساني في شتى مراحله وتؤكد اتصال أطوار تاريخه المختلفة، فالابستيمولوجيا عند باشلار تؤكد دور المخيلة في المعرفة العلمية، فلو رجعنا إلى كتابه الأول "بحث في المعرفة التقريبية" نلاحظ أن موضوع المعرفة العلمية ليس الكم، بل العلاقات، وهذه العلاقات تقريبية لأنها ترتبط من جهة بنظريات جزئية، ومن جهة أخرى فهي

(*) غاستون باشلار: ولد في "بارسيراوب" في الريف الفرنسي في 27 يونيو 1884، وتوفي بباريس في 16 اكتوبر سنة 1962، عمل عشرة أعوام في البريد من سنة 1903 إلى سنة 1913، ثم انتقل لتدريس الفيزياء والكيمياء في كلية بارسيراوب بين 1919 و1930. استأنف دراسته في مجال الفلسفة، فحصل فيها على الإجازة عام 1922، ثم حصل على شهادة الدكتوراه سنة 1927 عن اطروحة بعنوان "مقالة عن المعرفة التقريبية"، ونشر معها اطروحة مكملة بعنوان "دراسة حول تطور مشكلة فيزيائية": سريان الحرارة في الأجسام الصلبة. وفي سنة 1940 عين باشلار أستاذاً بجامعة السوربون ليشغل كرسي تاريخ العلم وفلسفته حتى عام 1954، وحصل سنة 1961 على الجائزة الوطنية الكبرى للآداب، وهو من أهم فلاسفة العلم المعاصرين، فهو فيلسوف ظاهري كرَّس حياته وعمله لفلسفة العلم، قدم أفكاراً مميزة في مجال الابستيمولوجيا حيث تمثل مفاهيمه في العقبة المعرفية والقطعية المعرفية والجدلية المعرفية والتاريخ مساهمات لا يمكن تجاوزها بل تركت آثاراً واضحة في فلسفة معاصريه ومن جاء بعده ، من أهم مؤلفاته في مجال فلسفة العلوم : العقل العلمي الجديد، تكوين العقل العلمي، العقلانية والتطبيقية، المادية العقلانية . انظر: كامل، فؤاد وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، ص103.

(*) النومينا: هي ما يتجاوز نطاق التجربة والإدراك الحسّي، فهو حقيقة مجردة من مسلمات العقل العملي ويقابله الظاهرة، والنومين مقابل الظاهرة ويطلق على الشيء في ذاته، وهو الحقيقة المطلقة التي تدرك بالحدس العقلي، لا بالتجربة والإدراك الحسّي، وكان كانط أول من وضع هذا الاصطلاح. انظر: صليبيا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج2، ص513.

تُحدَّد وفق وسائل القياس إلى نتائج نهائية، فالمعرفة العلمية إذن هي نسق من العلاقات التقريبية القابلة للتعديل والتصحيح، والخيال غير المفرط أو الخيال المحاط بالعقل يؤدي إلى التقدم العلمي، لأن العقل بدون خيال في بعض الأحيان يكون عقيماً.(عزوز، 1988)

ولكي نُقدّر مبادئ العقل العلمي الجديد حق قدرها كما يفهمها باشلار، لابد من مواجهتها مع سمات العقل العلمي القديم، ففي رأي باشلار أن هذه السمات تختصر باثنين ترجعان إلى نقض خصوصية العلم، وهما:

1. أنه يحلُّ العلم في نظرية عامة للروح والعقل، لا يكون العلم، إلا تجسيداً لها.
2. أنه يرجع ممارسة العالم إلى مجرد منهجية يسعى باشلار إلى إثبات عقمها، أي أن العقل العلمي يقع تارة أبعد من الممارسة العلمية الحقيقية، وطوراً أدنى منهما.(باشلار، 1984)

من هذا المنطلق يضع لنا باشلار مبادئ أساسية تقوم عليها نظريته في الابستيمولوجيا، وهي:

1. ليس ثمة عقل ثابت يحكم جميع أنماط معرفتنا، فالعقل نتيجة من نتائج العلم، وهو إنشاء لاحق غايته الإفصاح عن المناهج العلمية.
2. ليس ثمة منهج شامل، إنطلاقاً من العمل الواقعي للعالم، ولا يستطيع إلا أن يكرر ما سبق العثور عليه، فالمناهج المبنية لاحقاً عقيمة دائماً.
3. واقع العلم، حيث تكمن خصوصية العلم في بناء نموذج رياضيات، وليس من شأنه تأدية الحساب عن الظواهر المعاينة فقط بل إشارة إلى مجموعة جديدة من الظواهر، وواقع جديد عن طريق الاختبار، وليس ثمة واقع بسيط (حادث، ظاهرة، موضوع) يقتصر العالم على معاينته وشرحه، فالجاذبية لا تُرى، وينبغي إنشاء أنابيب مفرغة من الهواء وقيام أزمته ومسافات، وأنه من أجل بناء الأجهزة وقياس الظواهر لابد من التزود بنظرية رياضياتية.
4. يتضح أنه ليس بالإمكان دراسة العقل العلمي إلا من الداخل، حيث تنشأ الظاهرة، حيث ينبسط عالم مُريّض، ولكن على هذا المستوى تصطدم ممارسة العالم بالمفاهيم والصور التي يستمدها من عالمه الثقافي ومن معاشه اليومي، فينبغي أيضاً دراسة أصل هذه المفاهيم، التي تترجم نماذج رياضياتية معقدة .(باشلار، 1984)
5.

مما سبق يتضح أن إبستيمولوجيا باشلار يمكن وصفها بالعقلانية لأنه يغلب العقل على التجربة، حيث يقر فيلسوفنا بوجود عالم الأفكار الذي يختلف عن العالم الملموس الفردي، فالمعرفة لا تؤسس على حقائق مفردة لكن على هويات Idcntity [*]، لأن مملكة التجريد ليست مجرد أسطورة، إنها نشاط توضيحي مستمر، وحاولت الابستيمولوجيا البشلارية الإجابة عن حالتين:

1. كيف يمكن التوفيق بين المفاهيم التي تمثل الهويات وبين حركة المعرفة العلمية، أي أن مفهوم الهوية يعني تقليدياً القول بالفكرة المطلقة.
2. كيف يمكن التوفيق بين الأفكار.(هاشم، 2013)

المبحث الثاني: المعرفة الحدسية:

أسهم التطور العلمي في العصر الحاضر في تغيير كبير في مفهوم الابستيمولوجيا ، فأصبح الفلاسفة يبحثون الابستيمولوجيا في إطار المعرفة العلمية وحدها بعد أن كانت الابستيمولوجيا التقليدية تختص بالبحث في أسئلة تقليدية حول إمكانية قيام المعرفة، وإذا كانت ممكنة أو غير ممكنة ووسائلها وحدودها.

فالابستيمولوجيا الباشلارية ليست مجرد محاولة توفيقية بين الفلسفتين بل من خلال التكامل الموجود بينهما، فكل طرف متمم للآخر، فالتفكير العلمي المعاصر هو وسيط إبستيمولوجي بين النظري والتطبيقي، بين الرياضيات والتجربة، وإن معرفة قانون طبيعي بطريقة علمية معناه معرفته كظاهرة وكشيء في ذاته في آن واحد، فهي فلسفة يراد لها أن تكون متكيفة مع التطورات الحاصلة في الفكر العلمي؛ المتجدد باستمرار، فلا وجود لفكر عبارة عن صفحة بيضاء يسجل فيه الواقع كما يريد، وأيضاً لا وجود لعقل حائز بالفطرة عن مقولات الفهم الأساسية، فبناء مثل هذا العقل يتطلب تغييراً جذرياً لجميع قيم المعرفة. (باشلار، 1985)

يرفض باشلار العقل الشمولي والمنهج الأحادي الصالح لكل علم وذلك على غرار ما أقرّه العديد من الفلاسفة مثل "ديكارت" والذي يرى أن المنهج هو الموجه الصادق للعقل ويعتمد على طريقتين في التفكير هما الحدس والاستنباط.(أمين، 1965)

ويرى باشلار أن في الفكر العلمي المعاصر لا وجود لهذه الأحادية، فلكل علم منهجه الخاص به ومفاهيمه الخاصة التي تتناسب مع المرحلة التي هو عليها هذا العلم أو ذاك، وإن الفكر العلمي لا يتطور إلا بقدرته على إبداع وابتكار المناهج والنظريات الخاصة به، ولا وجود لمنهج صالح لكل علم وفي كل زمن، فكل تجربة جديدة كفيلة لتغيير الفكر العلمي برُمَتِه، وكل مقالة في الطريقة العلمية ستكون دائماً مقالة ظرف، ولن تتصف بالبنية النهائية. (باشلار، 1990)

إن المشكلة الابستيمولوجية الحاضرة تجاوز الإطار المعرفي السابق على تطور العلم، فقد كانت الظواهر قبل التطور العلمي تعالج في سكونها وبالاستناد إلى نواة واقعية ساذجة، ولكن الثابت الآن أن الظواهر يتلازم فيها السكون والحركة، ويرى باشلار أنه من العبث أن نفترض أن المادة ساكنة في الميكرو فيزياء مادامت هذه المادة لاتوجد في نظرنا إلاّ كطاقة وأنها لا ترسل إلينا أيّة رسالة إلاّ بالإشعاع، علاوةً على أن الظواهر أصبحت تستند الآن إلى واقعية نقدية علمية، وعليه فإن باشلار عمل على إيجاد وسيلةٍ مّا للتوفيق بين المذهب العقلي والمذهب الواقعي في إطار المعرفة العلمية. (حسين، 1993)

إن غاستون باشلار ربط الابستيمولوجيا بتطور العلوم فاستلهم وقائع العلم وفروض الرياضيات، وبدأ بالعلوم الفيزيائية حتى تأتّى له أن يضع المادة موضعاً جديداً، وهذا هو الطريق الذي ضمن لباشلار الانتهاء إلى مذهبه في المادية العقلانية أو العقلانية العلمية، ونستطيع القول أن موضوع المعرفة العلمية في الفكر العلمي المعاصر يمكن أن يدعي ظاهرة وشيئاً في ذاته في نفس الوقت، وغير أن باشلار يميز بين الشيء في ذاته في المعرفة العلمية وبينه وبين المعرفة العامة، فالمعرفة لا تتم إلا باتحاد عمل مصدرين، هما الحساسية التي هي قابليتنا لتلقي تأثير الموضوعات المحسوسة الخارجية، والفهم الذي هو قدرتنا على إنتاج التصورات القبلية الخالصة التي تفكر بها الانطباعات الحسية التي نتلقاها عن الموضوعات ونركب بينها في موضوع واحد للمعرفة .

إذن التميز بين الموضوعات التي تأتينا عن طريق الحساسية، وبين تلك الموضوعات في ذاتها، فهناك ضرورة للتميز بين الظاهرة وبين الشيء في ذاته، فالظاهرة هي ما تستطيع معرفتنا بلوغه، وهو الموضوع الذي تبدأ معرفته لدينا بالإحساس إما الشيء في ذاته (النومين –

Noumene) هو ما يمثل الحد الذي تقف عنده تلك المعرفة، وهذه التفرقة هي التي يقيمها كانط بين (الظاهر) و(الشيء في ذاته) والتي تستند إلى تمييز جوهري بين الطريقة التي تبدو لنا على نحوها الأشياء وطبيعة هذه الأشياء في ذاتها، وعلى الرغم من أن هذه الطبيعة في ذاتها هي بمعنى ما من معاني موضوع للتفكير.

ويجب أن نميز في هذا الصدد بين الموضوع الذي يمكن أن تفكر فيه فقط، وبين الموضوع الذي نعرفه، فالشيء في ذاته يمكن تبعا لطبيعتنا أن نفكر فيه كموضوع مفترض أو ممكن، ولكننا لا يمكن أن نعرفه كموضوع واقعي، إذ أن الشيء في ذاته في العلم ليس مجرد جوهر، ولكنه مظهر لتقدم العلم، وعلى هذا الأساس فإن مظاهر القطيعة الابستيمولوجية بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية، انطلاقاً من المعرفة العامة إلى المعرفة العلمية.

المبحث الثالث: سمات النظرية المعرفية العلمية عند باشلار:

تتميز نظرية المعرفة العلمية عند باشلار بمجموعة من السمات الأساسية والتي تميزها عن باقي الابستيمولوجيات أو " نظريات المعرفة " عند الفلاسفة المحدثين والمعاصرين ، ومن هذه السمات. (هاشم، 2013)

1. أنها ترفض العقل قبل العلمي، فهي فلسفة بناءة ترى في الفكر عامل تطور عندما ينقد الواقع فهي فلسفة لا تعترف ببناء أو نسق نهائي للفكر العلمي بل ترى فيه فقط بناء يتجدد باستمرار على ضوء التطورات العلمية المستمرة.
2. أن الابستيمولوجيا الباشلارية تستلزم النظر إلى المعرفة من زاوية تطورها في الزمان أي بوصفها عملية تطور ونمو متصلة _ وبعبارة أخرى فإنه لابد من النظر إلى المعرفة، أية معرفة بوصفها نتيجة لمعرفة سابقة بالنسبة إلى معرفة أكثر تقدماً وتطوراً.
3. تتميز نظرية المعرفة العلمية عند باشلار بالمقارنات المتعددة على مستويات متعددة وهذه المقارنات تأخذ شكلاً تاريخياً نقدياً وتركز بالذات على ثقافة القرن الثامن غير العلمية، وهذا الشكل التاريخي النقدي هو الشكل المنهجي الذي يجري تطبيقه على تأريخ العلوم، وعلى الأفكار الأساسية التي نستخدمها وبيّنها العلماء خلال تطورهم العلمي.
4. أن السمة الأساسية في الابستيمولوجيا الباشلارية هي اهتمامها المتزايد بجوانب النقص والخطأ والفشل في حقول العلم أكثر من اهتمامها بالإيجابيات وبهذه الطريقة تصبح الموضوعات العلمية عبارة عن مجموعة من الانتقادات التي وجهت إلى صورتها قبل العلمية أو صورتها الحسية القديمة، فليست الذرة مثلاً هي هذه الصورة التي أعطاها لها هذا العالم أو ذاك بل مجموع الانتقادات التي وُجّهت إليها، أي إلى تلك الصورة من طرف العلماء والباحثين اللّاحقين، إن المهم في العلم ليس الصورة الحسية المتخيلة التي يقدمها هذا العالم أو ذاك على أشياء الطبيعة وإن المهم هو الانتقادات وأنواع الرفض التي تلاقيها هذه الصورة من طرف العلماء الآخرين.
5. إن الابستيمولوجيا الباشلارية هي نظرية علمية في المعرفة لأنها تستقي موضوعاتها ومسائلها ومناهجها من العلم ذاته من المشاكل التي يطرحها تقدم العلم على العلماء المختصين، فهي إذن تعني بالمعرفة العلمية أساساً ، وتحاول أن تقدم حلولاً علمية لقضايا المعرفة عامة ، بقدر ماتنتمي هذه القضايا إلى ميادين البحث العلمي.
6. كما أن إبستيمولوجيا باشلار نظرية في المعرفة غير مغلقة وغير مكتملة فهي لا تنشد المعرفة المغلقة على ذاتها، وهي لا تذهب مع دعاوى الفلاسفة الذين يتوهمون أنهم فرغوا من بناء نسق معرفي تام ومكتمل ونهائي، إنها لا تريد أن تتقيد بنسق فلسفي مؤكد إنما هي تتمسك بأساسين " نسبية المعرفة "،" مبدأ القابلية للمراجعة"، والابستيمولوجيا بهذا المعنى يعتبرها صاحبها باشلار هي الفلسفة العلمية الوحيدة التي تواكب أي تطور يطرأ في حقل العلم.
7. لقد أوضح باشلار في كتابه فلسفة لا أو " فلسفة النفي " الآفاق العلمية الجديدة التي من الممكن الوصول إليها عن طريق الجدل أو النفي . يقول باشلار : " أنه إلى جانب المعرفة التي تزيد وتؤدي إلى تغيرات تدريجية في الفكر العلمي سنجد سبباً يدعوا إلى تجدد يكاد لا ينضب في الفكر العلمي، والواقع أن الفكر العلمي يتطور بين حدين متعارضين ينتقل مثلاً من الهندسة الإقليدية إلى الهندسات اللّاإقليدية ومن الميكانيكا النيوتونية إلى الميكانيكا اللّانيوتونية لدى أينشتاين، ومن فيزياء مكسويل إلى الفيزياء اللّامكسويلية لدى بور، ومن الابستيمولوجيا الديكارتية إلى أبستيمولوجيا اللّاديكارتية (حسين، 1993)

إن القطيعة الابستيمولوجية - في نظر باشلار - تعبّر عن القفزات الكيفية في تطور العلوم، ويكون من نتائجها تجاوز العوائق الابستيمولوجية القائمة، ولهذا فالابستيمولوجية في فلسفة باشلار صفة جوهرية ودراسة نقدية للمبادئ أو الفرضيات أو النتائج العلمية الهادفة إلى بيان أصلها المنطقي لا النفسي، وبيان قيمتها وأهميتها الموضوعية.

الخاتمة والنتائج:

ركّزت الابستيمولوجيا عند غاستون باشلار على دراسة الثورات العلمية المعاصرة خاصة في مجالات الهندسة والفيزياء والكيمياء، مع قيامها بارتدادات تاريخية للمقاربة بين حالة العلم الراهنة والسابقة، بغية الوقوف على القيم المتحكمة في العلم في كل مرحلة من تاريخه، ومن أبرز النتائج التي يمكن استخلاصها من هذا البحث:

1. المعرفة العلمية عند غاستون باشلار هي المعرفة التقريبية التي يتكامل فيها العقل والتجربة.
2. تأسيس مجال معرفي جديد تحت اسم الابستيمولوجيا اللاديكارتية ميزتها التعدد المنهجي.
3. الدعوة إلى تأسيس منطق لا أرسطي خاص بكل علم.
4. الابستيمولوجيا الباشلارية هي إبستيمولوجيا تاريخية لاهتمامها الخاص بتاريخ العلوم.
5. اهتم باشلار بالجانب النفسي للمعرفة العلمية وذلك عن طريق توظيف منهج التحليل النفسي.

قائمة المراجع والمصادر

-A.lalande: vocabulaire technique et critique de la philosophie. 2eme Edition, p.u.f. paris, 1968, p293.

-Anton Vydra, (2014). Gaston Bachelard and his reactions to phenomenology ,published online: Springer Science+Business Media Dordrecht.

-Francisco Vazquez Garcia, la primera recepcion espanola de la epistemologia historica francesa: Gaston Bachelard(1940-1959) –recibido 30.10.2011,version final:22.01.2010biblid:(0495-4548(2013) 28:77,pp 303-304.

-Larousse Dictionnaire encyclopedique,Librairie Larousse, paris, volume 13, 1979,p501.

–أمين، عثمان، (1965). ديكارت: سلسلة أعلام الفلسفة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ط5.

–حسين، السيد شعبان، (1993). برونشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم ، دار التنوير، ط1.

-رضا عزوز، (1988) العقلانية المنفتحة لدى باشلار، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية– الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية.

–عي، عثمان، (2008) *بنية المعرفة العلمية عند غاستون باشلار*، رسالة ماجستير منشورة، جامعة قسطنطينة– الجزائر، 2008.

-غاستون باشلار، (1984). العقلانية التطبيقية، ترجمة: سالم الهاشم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1.

–غاستون باشلار، (1985). فلسفة الرفض، ترجمة: خليل، أحمد خليل ، دار الحداثة، ط1.

–غاستون باشلار، (1990). الفكر العلمي الجديد، ترجمة: عادل عوا ، دار الأنيس – الجزائر.

–هاشم، رافد قاسم. (2013)، ابستيمولجيا المعرفة عند غاستون باشلار، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية – مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية.

Gaston Bachelard's Epistemology

Rabia Farhat

Misurata University/ Faculty of Art/ Philosophy department

Article information

Key words

3-5 keywords which are related to the major part of research work separated by semi-columns.

Received dd mm yyyy, Accepted dd mm yyyy, Available online dd mm yyyy

Abstract

This research **Gaston Bachelard's Epistemology** delves into a vital issue that stands as a key characteristic in contemporary philosophical thought—the epistemology, as conceptualized by Gaston Bachelard. The study presents Bachelard's philosophical views on epistemology, focusing on his exploration of the field's significance in science. Bachelard contends that traditional philosophies have become obsolete by neglecting contemporary scientific revolutions and their impact on cognitive values. Thus, he advocates for an epistemology capable of keeping pace with the evolving trends in scientific thought.

Bachelard emphasizes that scientific progress involves a constant struggle between the new and the old. Any epistemological barriers demand serious intellectual effort for their removal, and the advancement of knowledge is only achieved through continuous purification of these obstacles. The research includes an introduction discussing Bachelardian epistemology, elucidating the stages and characteristics of scientific knowledge according to Gaston Bachelard and the foundational principles underlying it. It explores the relationship between science and knowledge.

The notable results extracted from this research include:

1. Bachelard defines scientific knowledge as approximate knowledge integrating both reason and experience.
2. Establishment of a new cognitive field termed non-Cartesian epistemology characterized by methodological pluralism.
3. He advocated for the establishment of a non-Aristotelian logic specific to each science.
4. Imparting a historical dimension to epistemology, making it a historical epistemology with a particular interest in the history of sciences.
5. Bachelard urges epistemology to consider the psychological aspect of scientific knowledge by employing psychoanalytic analysis.

Keywords: Epistemology, Theory of Knowledge, Gaston Bachelard, Scientific Knowledge.